جهة مراكش أسفي
ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵟⴰⵣⵔⴼⵜ ⴰⵏⵎⴰⵙ
Région Marrakech Safi

LERMA
مختبر الدراسات حول الموارد، الحركية والجاذبية
laboratoire des Etudes sur les Ressources, Mobilité et Attractivité

كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵏ ⵜⵓⵙⵙⵏⴰ ⴷ ⵜⵉⵙⵏⴰⵙⵜⵉⵏ ⵜⵉⵏⴰⵎⵓⵔⵉⵏ - ⵎⵔⵓⴽⵓⵛ
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

MARRAKECH
جامعة القاضي عياض
UNIVERSITÉ CADI AYYAD

أعمال الملتقى الجهوي للبحث والابتكار بجهة مراكش أسفي

الجغرافية التطبيقية في خدمة التنمية الترابية بجهة مراكش أسفي: التحديات والفرص

متنوعات مهداة إلى الأستاذ
الدكتور أحمد زروال

تنسيق:

عبد الجليل الكريفة
ميلود وشالة
محمد الأكلع
طارق العرفي

2025

الجغرافية التطبيقية في خدمة التنمية الترابية بجهة مراكش أسفي: التحديات والفرص

La géographie appliquée au service du développement territorial dans la région de Marrakech-Safi : défis et opportunités

جهة مراكش أسفي
ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵟⴰⵣⵔⴼⵜ ⴰⵏⵎⴰⵙ
Région Marrakech Safi

LERMA
مختبر الدراسات حول الموارد، الحركية والجاذبية
laboratoire des Etudes sur les Ressources, Mobilité et Attractivité

كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵏ ⵜⵓⵙⵙⵏⴰ ⴷ ⵜⵉⵙⵏⴰⵙⵜⵉⵏ ⵜⵉⵏⴰⵎⵓⵔⵉⵏ - ⵎⵔⵓⴽⵓⵛ
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

MARRAKECH
جامعة القاضي عياض
UNIVERSITÉ CADI AYYAD

Actes du Colloque régional de la recherche et de l'innovation de la région Marrakech-Safi:

La géographie appliquée au service du développement territorial dans la région de Marrakech-Safi : défis et opportunités

Mélanges en l'honneur du professeur
Dr. Ahmed ZAROUAL

Coordination:

Abdeljalil Lokrifa
Miloud Ouchala
Mohammed El Aklaa
Tarik El Orfi

2025

الجغرافية التطبيقية في خدمة التنمية الترابية
بجهة مراكش أسفي: التحديات والفرص

جهة مراكش أسفي
ⵜⴰⵖⵍⴰⵜ ⵎⵔⴰⴽⵛ ⴰⵡⵙⵙ
Région Marrakech Safi

LERMA
مختبر الدراسات حول الموارد، الحركية والجاذبية
laboratoire des Études sur les Ressources, Mobilité et Attractivité

كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech
MARRAKECH
جامعة القاضي عياض
UNIVERSITÉ CADI AYYAD

الجغرافية التطبيقية في خدمة التنمية الترابية
بجهة مراكش أسفي: التحديات والفرص

متنوعات مهداة إلى الأستاذ
أحمد زروال

تنسيق:

عبد الجليل الكريفة - محمد الاكلع

ميلود وشالة - طارق العرفي

2025

محفوظة جميع الحقوق
©Copyright

الجغرافية التطبيقية في خدمة التنمية الترابية بجهة مراكش أسفي: التحديات والفرص

تنسيـــــــــق : عبد الجليل الكريفة - محمد الاكلع - ميلود وشالة - طارق العرفي

منـشـــــورات : مختبر الدراسات حول الموارد، الحركية والجاذبية (LERMA)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة القاضي عياض، مراكش.

الإيداع القانوني : 2025MO2439

ردمـــــــــك : 978-9920-620-15-4

الطـبـعـة الأولى : 2025

تصميـم الغـلاف: طارق العرفي، ميلود وشالة

الطباعة والإخراج الفني : دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط

10 شارع العلويين رقم *3*، حسان – الرباط
الهاتف : *83 75 20 37 05* - **الفاكس :** *89 75 20 37 05*
E-mail : editionsbouregreg2015@gmail.com

اللجنة العلمية

- **الكريفة عبد الجليل** (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش)
- **الأكلع محمد** (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش)
- **بوجروف سعيد** (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش)
- **وادريم مصطفى** (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية)
- **المباركي حسن** (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش)
- **بنعلي عبد الرحيم** (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش)
- **احمد محيي الدين ملين** (كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، القنيطرة)
- **حسني المصطفى** (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش)
- **هلال عبد المجيد** (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش)
- **منسوم محمد** (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش)
- **يحيوي عبد العزيز** (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش)
- **ايت حسو محمد** (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش)
- **بلفقيه عبد الصادق** (كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، القنيطرة)
- **الغاشي محمد** (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال)
- **بوخروق محمد** (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش)
- **ظريف جواد** (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش)
- **حافيظ عبد** اللطيف (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال)
- **عربي صفاء** (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش)
- **حسني خالد** (المدرسة العليا للتكنولوجيا، الصويرة)
- **العيسي حنان** (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش)
- **متوكل عبد العالي** (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش)
- **طارق العرفي** (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش)
- **وشالة ميلود** (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش)
- **عكاشة عبد المنعم** (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش)

أحمد زروال أستاذ سابق بشعبة الجغرافيا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض بمراكش، ولد في فاتح يناير سنة 1954 بالعطاوية قلعة السراغنة، حاصل على دبلوم الدراسات العليا في الآداب سنة 1987 بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، وعلى شهادة التأهيل الجامعي سنة 2015. تتمحور أبحاثه حول الجغرافية الطبيعية عامة وبالخصوص ديناميات الأوساط الطبيعية الجبلية ومشاكل الإعداد والتنمية.

الفهـــرس

كلمة السيد عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض - مراكش

الأستاذ عبد الجليل الكريفة

كلمة السيد مدير مختبر الدراسات حول الموارد، الحركية والجاذبية(LERMA) ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض - مراكش

الأستاذ سعيد بوجروف

كلمة اللجنة المنسقة

الأستاذ محمد الأكلع

القسم الأول: الحكامة المائية في بعدها الجهوي بين متطلبات التنمية ورهانات الاستثمار.

ندرة الموارد المائية وديناميةالمجالات الزراعية بالمجالات الجافة حالة الحيز الترابي لسيدي المختار بإقليم شيشاوة 19

محمد بادلة

الموارد المائية وإشكالية الندرة في حوض أسيف المال: دراسة عند الحاشية الشمالية الغربية لأطلس مراكش 33

معاذ منصوري، عمر بومنير

الحكامة المائية بمنطقة السراغنة: من أجل تدبير مستدام للموارد المائية في ظل الندرة.....45

عبد الصمد الزو

غراسة الزيتون بجهة مراكش اسفي: آثار التغيرات المناخية ورهانات الاستدامة (حالة إقليم قلعة السراغنة).....59

فاطمة الزهراء بوعلالة

الصرف الصحي بدير أطلس مراكش، طريقة تصريف عشوائية تهدد مستقبل بيئة وجودة الموارد المائية "نموذج جماعتي أميزميز وتحناوت" 71

نادية قاسي ، مصطفى وادريم ، كمال حالي

القسم الثاني: تأهيل النظم البيئية الجهوية وتثمين الموارد الترابية.

تثمين سلسلة إنتاج الزيتون بجهة مراكش آسفي: التحديات وتدخلات الفاعليين إقليم قلعة السراغنة نموذجا.....83

توفيق عدية، عبد الصادق بلفقيه

السياحة الجبلية بجماعة ويركان، الفرص والتحديات.....99

رضوان الغالمي، ثرية بوحفاض، إبراهيم التركي

الاستغلال الزراعي للدرجات النهرية السفلى بواد القصب وأساليب الحماية (هضاب شياضمة-حاحا).....113

عبد القادر النايري، مصطفى وادريم ، رشيدة المرابط ، الزهرة زيكة

أدوار وتحديات القادة التربويون لترسيخ الوعي المائي بمؤسسات الثانوي التأهيلي بمديرية آسفي. 125

محمد كلاد، عبد العزيز حمدي

أزمة التدبير الجماعي للموارد في المجالات الجبلية: بين التراجع وإشكالية استدامة المشترك "حالة أودية الزات وأوريكا" 139

سعيد ابناي

هشاشة الأوساط الطبيعية: مشاكل الإعداد وأسس التنمية المستدامة بحوض إمريغة "بالسفح الشمالي لأطلس مراكش"151

يونس ايت حمو، سعيدة أمني، أحمد زروال

تدبير الجفاف المناخي بمناطق الزراعة البورية، نموذج جماعة سيدي عيسى، شمال عبدة.....165

ضمار أمنة، وادريم مصطفى

التوضعات الكاربوناتية الثانوية بالحوز الشرقي: القشرات الكلسية - الرصراصة والفليس 171
محمد الأكلع

القسم الثالث: تدبير الأخطار الطبيعية وإشكالية التخطيط والتهيئة المندمجة.

استخدام معطيات الأقمار الإصطناعية وإعادة التحليل لقياس التساقطات المطرية بالأحواض النهرية. حوض أوريكة نموذجا 187
محمد المهدي السعيدي، مريم رشدان، المهدي الخالقي
ذاكرة الكوارث الطبيعية وثقافة الخطر عند ساكنة حوض غيغاية بالأطلس الكبير الغربي 199
ميلود وشالة، عبد الجليل الكريفة، طارق العرفي
عالية حوض أوريكة ووقع المخاطر الطبيعية: التحديات و آفاق التهيئة والتدبير 215
زكرياء ايت الحاج لحسن، عبد الرحيم بنعلي
مظاهر الهشاشة الطبيعية والبشرية وإشكالية التهيئة المجالية حالة زلزال الحوز - الجماعة الترابية ثلاث نيعقوب - الأطلس الكبير - 225
سعيد عزيوي، خالد بودراوي
تدبير الحركات الكتلية بالمنحدرات الجبلية: حالة حوض نفيس بالأطلس الكبير الغربي مقاربة خرائطية 241
هشام ركيز ، عبد الجليل الكريفة
زلزال الحوز: من كارثة طبيعية إلى فرصة تنموية 261
عبد الرزاق بن احساين
الأنشطة الصناعية تأثرها وتأثيرها على المجالات الساحلية، ساحل أسفي نموذجا 279
مارية أمجوض، فتيحة موفق

القسم الرابع: المدن الذكية والتدبير الترابي المستدام.

التخطيط المستدام لتنمية المناطق الجبلية بالمغرب دراسة تحليلية للمخطط التوجيهي لتهيئة الجبل في جهة مراكش-آسفي 293
المصطفى صبير
التخطيط الاستراتيجي والمدن الذكية المستدامة "حالة مدينة مراكش" 307
مريم سكراتي، سعيد عزيوي
تغيرات أنماط التدبير الترابي و انعكاساتها السوسيومجالية -حالة إقليم الرحامنة - 317
أحمد الإبراهيمي، حسن المباركي
دور الاقتصاد التضامني في تثمين المنتجات المحلية وتحقيق التنمية المستدامة بجماعة أوناغة شمال الصويرة 329
رشيدة أمرير، مصطفى وادريم

القسم الثالث:
تدبير الأخطار الطبيعية وإشكالية التخطيط والتهيئة المندمجة.

زلزال الحوز: من كارثة طبيعية إلى فرصة تنموية

Al Haouz Earthquake: From Natural Disaster to Development Opportunity

عبد الرزاق بن احساين

دكتور في الجغرافية البشرية، جامعة القاضي عياض كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش

ملخص: أماط زلزال الأطلس الكبير يوم 08 شتنبر اللثام عن واقع مناطق شاسعة من بلادنا، حيث أظهر بشكل جلي حجم التباينات المجالية الصارخة بين مغرب يعرف دينامية تنموية سريعة ومتلاحقة ومغرب آخر رغم أهميته ورغم الدينامية المتسارعة التي عرفها خارج مسار هذه التنمية، وهو ما يفرض اعتماد مقاربة جديدة تنبني على تجاوز النظرة التقليدية في استثمار الموارد الترابية لهذه المناطق، والانتقال من المراهنة على الفلاحة كمورد ترابي وحيد للتنمية، إلى بلورت سياسة شمولية إبداعية تسخر المكونات الترابية بمختلف أشكالها الطبيعية والبشرية والثقافية والتاريخية...، لتحقيق تنمية مندمجة تراعي الخصوصيات المحلية، ويفرض التوقف للتأمل وطرح السؤال حول الأسباب والتفكير في حلول علمية وعملية إجرائية تقلص الهوة وتقرب هذه المناطق من التنمية المنشودة.

وفي هذا الإطار يعتبر علم الجغرافيا أكثر العلوم فعالية لتمكين الفاعلين من أدوات تسمح لهم بإيجاد حلول شمولية أفقية تمكن من استثمار نتائج الكوارث الطبيعية بشكل إيجابي بعيدا عن النظرة السطحية العمودية وتمكنهم من اعتماد مقاربة استشرافية تنطلق من استنباط الدروس والعبر وتبني إجراءات استباقية، خصوصا في مجال جبلي يمثل 21% من مساحة المغرب، ويشكل متغيرا جوهريا في تاريخه، ومكونا أساسيا من ثقافته، وعنصرا حاسما في اقتصاده. في هذا السياق يأتي هذا المقال للإجابة عن إشكالية أساسية وهي ما الدروس التي يمكن استخلاصها من زلزال الأطلس الكبير وكيف يمكن استثمارها لبلورة مقاربة تنموية ناجعة؟

المفاهيم المفاتيح: الأطلس الكبير ، الزلزال ، التنمية

Abstract : The earthquake that struck the High Atlas on September 8th unveiled the reality of vast regions of our country, clearly revealing the stark spatial disparities between a Morocco experiencing rapid and successive developmental dynamics, and another Morocco—equally significant—that has remained on the margins of this progress, despite its own potential and evolving momentum. This situation calls for a new approach that moves beyond the traditional perspective of exploiting the territorial resources of these areas. It requires a shift from relying solely on agriculture as the primary development resource to the formulation of a comprehensive and creative policy that harnesses the diverse territorial components—natural, human, cultural, and historical—to achieve integrated development that respects local specificities. Such a moment also calls for pause and reflection—to question the underlying causes and to consider scientific, practical, and actionable solutions that can bridge the gap and bring these regions closer to the desired development.

In this context, geography stands out as one of the most effective sciences, offering stakeholders the tools to develop comprehensive and horizontal solutions that allow for a positive investment in the outcomes of natural disasters. This avoids a superficial, vertical perspective and instead supports a forward-looking approach based on lessons learned and proactive measures—especially in a mountainous area that represents 21% of Morocco's territory, plays a fundamental role in its history, constitutes a key part of its culture, and serves as a vital component of its economy.

It is within this framework that this article seeks to address a fundamental question: What lessons can be drawn from the High Atlas earthquake, and how can they be utilized to develop an effective development approach?

Keywords: High Atlas , Earthquake , Development

تقديم عام:

تجمع العديد من النظريات الفلسفية على إمكانية تحويل الأزمات إلى فرص ومحفز على التغيير الإيجابي واستخلاص الدروس، كالفلسفة الرواقية بزعامة ماركوس أوريليوس وسينوزا التي نشأت في اليونان والقائمة على مبدأ تحويل الأزمات إلى فرص[1]، وفلسفة التشاؤم المتفائل التي دافع عنها نيتشه والتي ترى في الأحداث السلبية فرصة للتطور والتعلم عبر قولته الشهيرة ما لا يقتلني

[1] عثمان أمين، 1958، الفلسفة الرواقية، مطبعة القاهرة للنشر، ص 276

يجعلني أقوى، وفلسفة الأمل لصاحبها أرنست بلوخ الذي يؤكد فيها أن الأمل دافع لتحويل التهديدات إلى فرص يمكن استثمارها لإحداث التغيير الإيجابي[1].

تشكل هذه النظريات مرجعا فكريا يمكن الارتكاز عليه لبناء تصور يسمح باستثمار زلزال الحوز باعتباره كارثة طبيعية ضربت المغرب في الثامن من شتنبر2023، لخلق دينامية تنموية جديدة، وإعادة ترتيب الأولويات بهذه المناطق. فقد أماطت هذه الكارثة اللثام عن واقع مناطق شاسعة من بلادنا، وأظهرت بشكل جلي حجم التباينات المجالية الصارخة بين مغرب يعرف دينامية تنموية سريعة ومتلاحقة ومغرب آخر خارج مسار هذه التنمية، وهو ما يفرض التوقف للتأمل وطرح السؤال حول الأسباب والتفكير في حلول علمية وعملية إجرائية تقلص الهوة وتقرب هذه المناطق من التنمية المنشودة.

يعتبر علم الجغرافيا عبر الآليات التي يتيحها أكفأ العلوم التي من شأنها دراسة الأخطار الطبيعية دراسة شمولية متعددة الأبعاد والوقوف على طرق تدبيرها وكيفية استثمارها بشكل إيجابي، هنا تأتي هذه المقالة لمعالجة إشكالية تتمحور حول الدروس التي يمكن استخلاصها من زلزال الحوز وكيف يمكن استثمارها لبلورة مقاربة تنموية ناجعة؟ معتمدين المنهج الاستنباطي المنطلق من العام إلى الخاص وعلى المنهج الوصفي والتحليلي لرصد العلاقة النسقية بين آثار زلزال الحوز والفرص التنمية التي يطرحها استثماره.

I. الجغرافيا وتدبير الكوارث الطبيعية

1. جغرافية الأخطار ومجال الكارثة الطبيعية

يسعى علم الجغرافيا إلى دراسة العلاقة الجدلية بين الإنسان والطبيعية في إطار علاقة جدلية تفاعلية ما يعطيه مشروعية لدراسة الكوارث الطبيعية، باعتبارها حدثا مدمرا يسفر عن خسائر مادية وبشرية تسببه ظاهرة طبيعية، أي أن عنصرا من عناصر الطبيعية يؤثر سلبا على الإنسان وهو لب ما تدرسه الجغرافيا عبر أحد فروعها والذي يتجلى في جغرافية الأخطار.

تدرس جغرافية الأخطار الكوارث الطبيعية من حيث مفهومها ونوعها والخصائص المميزة لها وتوزيعها الجغرافي، ومن حيث العوامل المساهمة في حدوثها، إضافة إلى دراسة آثرها على الإنسان وعلى المنظومة البيئية بمختلف عناصرها، وفق منهجية نسقية تنطلق من علاقة التأثير والتأثر بين الإنسان ومحيطه الطبيعي، مع اقتراح إجراءات متعددة الأبعاد تسعى إلى الاخذ بعين الاعتبار مختلف المتغيرات التي من شأنها أن تقلص من حجم الكارثة، إضافة إلى صياغة نماذج تساعد على التنبؤ بالكارثة قبل وقوعها عبر استغلال خطوات النهج الجغرافي التي تنطلق من الوصف والتفسير ثم التعميم، أو عبر توظيف نظم المعلومات الجغرافية بكل الإمكانيات التي تتيحها.

تستند جغرافية الأخطار على المجال كمفهوم مركزي، إذ يخضع تقسيم الكوارث الطبيعية في علاقتها بالمجال إلى عدة أنواع تختلف باختلاف السبب الرئيس لوقوعها، فمجال الكارثة ذات الأصل الميثيوغولوجي مختلف عن الكارثة ذات الأصل الجيومرفولوجي أو الجيولوجي أو البيولوجي. كما يوظف المجال لتحديد شعاع دائرة تأثير الكارثة ومستوياته[2]. وعموما يمكن التمييز في هذا الإطار بين أربعة مجالات مركزية هي:

- المنطقة المركزية للكارثة أو ما يعرف بمنطقة الصدمة الكلية: وهي المنطقة الأكثر تضررا والتي تبلغ فيها الكارثة ذروتها.
- المنطقة الهامشية للكارثة وهي المنطقة الأقل تضررا وهي المنطقة التي تكون فيها الكارثة في مرحلة التراجع والانتهاء.

[1] عطيات أبو السعود،2021، الأمل واليوتوبيا في فلسفة إرنست بلوخ، مؤسسة هنداوي، ص 74

[2] علي ابت احسين، 2015، جغرافية المخاطر البيئية، كلية الأداب و العلوم الإنسانية– أكادير، http://www.flsh-agadir.ac.ma/moodle-flsh، ص 1

- منطقة التصفية أو الترشيح: وهي منطقة غير متضررة بـ*شكل مباشر لكنها* تستقبل اللاجئين بأعداد كبيرة حيث تعتبر أماكن الإيواء والمساعدات.

- المنطقة الخارجية: وتمثل منطقة استقبال المساعدات الوطنية والدولية حيث تجمع فيها المعونات وتتحرك منهما المواد والأفراد باتجاه منطقة الكارثة.1

2. منهجية تدبير الكوارث الطبيعية

يفرض الحديث عن الكارثة بشكل عام سواء كانت طبيعية أو بيئية استحضار عنصرين أساسيين مترابطين لا يمكن فصلهما، وهما كل من الخطر والاستجابة، فلا يتحول الخطر إلى كارثة إلا عند ضعف استجابة الإنسان لهذا الخطر[2]؛ ذلك أن ضعف الاستجابة يرفع من درجة الهشاشة والقابلية للتضرر ويكشف نقط الضعف أمام الخطر، ويزيد من حجم الخسائر؛ وتتداخل مجموعة من المتغيرات المجالية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية... في إضعاف استجابة الأفراد والمجتمعات للخطر والانتقال به إلى مستوى الكارثة.

انطلاقا إذن من علاقة الخطر بالاستجابة يمكن تعريف الكارثة على أنها:

" حدث مدمر ناتج عن قوة طبيعية، يتسبب في خسائر بشرية أو مادية أو بيئية واسعة تتجاوز قدرة المجتمع المتأثر على تفاديها بموارده الخاصة".

قد تساهم الاستجابة الفعالة للخطر الطبيعي في تفادي وقوع كوارث طبيعية، كبناء سدود تحد من إمكانية حدوث فيضانات مثلا، بالمقابل يصعب تجاوز بعض الكوارث الطبيعية الأخرى سيما ذات الأصل التكتوني كالزلازل ما يجعلها محتمة الوقوع فيقتصر دور الاستجابة في هذه الحالة على التقليص من أضرار الكارثة دون منع حدوثها. في هذا الإطار تأتي استراتيجية "هيوغو Hyogo" للأمم المتحد لتضع خطة شاملة لزيادة الوعي بأهمية إدارة خطر الكوارث الذي يعد جزءا مهما من التنمية المستدامة، التي تهدف إلى بناء مجتمعات ودول قادرة بقوة على مواجهة الكوارث وتخفيف تأثيراتها وتتجلى أهداف هذه الاستراتيجية في:

- الحد من خطر الكوارث في سياسات التنمية المستدامة؛

- تعزيز وتطوير المؤسسات وابتكار آليات للرفع من قدرة المجتمع على مواجهة الاخطار؛

- الدمج الممنهج لخطة الحد من خطر الكوارث في تنفيذ برامج الاستعداد للطوارئ والاستجابة لها.

يمر تدبير الكوارث الطبيعية حسب هذه الاستراتيجية بثلاث مراحل أساسية ترتكز على البعد الزمني وهي قبل وأثناء وبعد الكارثة، وتضم كل مرحلة من هذه المراحل عدة إجراءات تختلف تبعا لمجموعة من المتغيرات يربطها خيط ناظم، يفترض في هذه المراحل أن تتخذ بعدا نسقيا مترابطا على شكل دائرة مغلقة للتدبير؛ فكل مرحلة تشكل منطلقا للمرحلة التي بعدها ونتيجة للمرحلة التي تسبقها. فمرحلة ما بعد الكارثة مثلا تأتي تبعا لخصائص الكارثة من حيث الزمن والانتشار وحجم الخسائر...وتتوافق في كثير من الحالات مع إجراءات ما قبل كارثة أخرى مستقبلية في إطار وقائي استشرافي. كما هو موضح في الرسم التوضيحي التالي:

[1] أبو أصايل، ملخص جغرافية الأخطار الطبيعية

[2] أمانة استراتيجية الأمم المتحدة للحد من الكوارث ومكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية،2008 ، التأهب للكوارث تحقيقا للاستجابة الفعالة، مجموعة الإرشادات والمؤشرات لتنفيذ الأولوية الخامسة في إطار عمل هيوغو، جونيف سويسرا، ص 12

رسم توضيحي رقم 1 مراحل استراتيجية هيوغو[1]

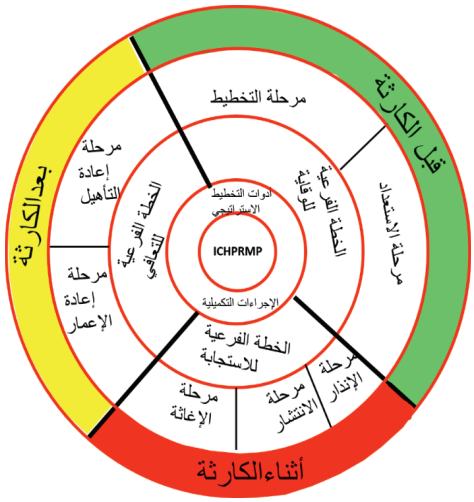

المصدر: أمانة استراتيجية الأمم المتحدة للحد من الكوارث ومكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية،2008 ، التأهب للكوارث تحقيقا للاستجابة الفعالة، مجموعة الإرشادات والمؤشرات لتنفيذ الأولوية الخامسة في إطار عمل هيوغو، جونيف سويسرا، ص 45.

- **مرحلة ما قبل الكارثة:**

تنطلق هذه المرحلة من مبدأ يقوم على الوقاية والاستباق، ومن الاستجابة من تجارب سابقة ومن قاعدة بيانات متعددة الأبعاد تشكل مرتكزا لبناء سيناريوهات متوقعة، والاستعداد لكوارث محتملة وتنقسم بدورها لمرحلتين:

- مرحلة التخطيط: تعتمد هذه المرحلة على جمع البيانات وتحليلها وتكون أكثر فاعلية عند اعتماد نظم المعلومات الجغرافية وإنتاج خرائط تهم مختلف عناصر الخطر المحتمل ومؤشرات الهشاشة المرتبطة به؛ حيث تمكن من دراسة الأخطار المحتملة ومدى هشاشة المجال وحساسيته اتجاهها، كما تستعين هذه العملية بدراسة تاريخ الكوارث بالمنطقة وتواترها لتخرج بسيناريوهات متوقعة تفضي إلى تبني إجراءات من شأنها أن تقلص من نقط ضعف المجال المعني اتجاه الأخطار المحتملة. إضافة إلى انطلاق هذه المرحلة من ترتيب الأخطار المحتملة وتصنيفها حسب التهديد الذي تمثله في علاقة بالخصوصيات المحلية للمجال المعني. وتتجاوز ذلك إلى تقدير حجم الخسائر تبعا لسيناريوهات تصنف إلى ثلاث مستويات وهي الأقل ضررا وذات الضرر المتوسط ثم السيناريو الأسوأ.
- مرحلة الاستعداد: تشكل هذه المرحلة العمود الفقري للوقاية حيث تضم إجراءات عملية تستند على المرحلة السابقة وتختلف باختلاف عدة متغيرات مرتبطة بالكارثة وبمدى حساسية المجال المعني، ومن التدابير التي يمكن اتخاذها خلال هذه المرحلة: إعادة توطين السكان ونقلهم بعيدا عن مصدر الخطر، أو تقوية البنية التحتية التجهيزية كالسدود أو العتبات أو الطرق، أو إنشاء محطات للإنذار المبكر، إضافة إلى إنجاز دراسات تشخص واقع الحال، ونشر الوعي في صفوف سكان المنطقة المعنية بالخطر، وتصميم مراكز عملية الطوارئ...

[1] حسين عزيز صالح، 2020، خطة عملية متكاملة لإدارة خطر الكوارث على مواقع التراث الثقافي :حالة دراسية في الإقليم الساحلي السوري، المجلة العربية للبحث العلمي، العدد2، ص 6.

- مرحلة أثناء الكارثة: إن أهم عنصرين حاسمين في هذه المرحلة هما عنصرا الزمن وضبط النفس. ذلك أنها أقصر مرحلة من حيث الامتداد الزمني مقارنة بباقي المرحلتين كما أنها تعرف ردود فعل قد تزيد من الخسائر إذا ما انتشر الذعر في صفوف الساكنة. وتبعا لذلك تنقسم هذه المرحلة إلى ثلاث مراحل فرعية:

  - مرحلة التنبيه بحدوث الخطر: وتشمل جميع عمليات الإنذار المبكر مثل المراقبة والتنبؤ في الوقت الفعلي لحدوث الخطر، وتحديد السيناريوهات، كتنبيه ساكنة سافلة الحوض النهري بفيضان الواد بالعالية، أو تنبيه الساكنة بمسار إعصار أو اتجاه وسرعة أمواج التسونامي... إلخ؛

  - مرحلة نشر المعلومة: تساعد هذه المرحلة على تقدير حجم وقوة الكارثة ومجال انتشارها وعدد الساكنة المعنية. تساهم وسائل التواصل الاجتماعي بشكل فعال في هذه المرحلة لكنها تمثل تحديا في نفس الوقت حينما تستغل لترويج الإشاعات ونشر الذعر بين السكان؛

  - مرحلة الإغاثة: وتشمل عمليات البحث والإنقاذ والإخلاء وتوفير المواد الغذائية وبناء مراكز للإيواء ومستشفيات متنقلة للقرب، وهي مرحلة يتعدد فيها الفاعلون المتدخلون بمستوياتهم المختلفة سواء المحلية من ساكنة محلية ومجتمع مدني أو الوطنية المتجلية في أجهزة الدولة المختلفة أو الدولية ومنها فرق الإنقاذ الدولية...

- مرحلة ما بعد الكارثة:

هي مرحلة أساسية في سيرورة مواجهة الكوارث الطبيعية فهي تمكن من تخفيف معاناة الساكنة والحد من المشاكل التي قد تنتج عن تبعات الكارثة القريبة أو المتوسطة أو البعيدة الأمد، كما تتيح الفرصة لحصر الخسائر وتقييم التدخل أثناء الكارثة، وكذا الوقوف على أسباب الكارثة وأخذ العبر لاستثمارها خلال مرحلة ما قبل كارثة محتملة مستقبلا، ويمكن التمييز فيها عموما بين مرحلتين:

- مرحلة إعادة الإعمار: تتضمن هذه المرحلة خطوتين أولها على المدى القريب وتستهدف ضمان الحد الأدنى من الخدمات الأساسية من ماء وكهرباء واتصالات ومنازل مؤقتة وخدمات صحية واستئناف الدراسة والخدمات الإدارية، ثم مد الطرق .... أما ثانيها فعلى المدى المتوسط والبعيد قد تستمر شهورا أو سنوات وعلى رأسها إعادة بناء المنازل والمدارس والخدمات الأخرى المتضررة أو إنشاء بنايات حديثة تراعي مصدر الخطر الذي تسبب في الكارثة.[1]
- مرحلة إعادة التأهيل: تتضمن مرحلة إعادة التأهيل الدروس المستفادة، وتحديث السيناريوهات، والتقييم الاجتماعي-الاقتصادي، وتقييم الأثر البيئي، والتقييم الاستراتيجي للبيئة، وإعادة التخطيط المجالي، إلخ. وهي المرحلة التي تشكل محور إشكالية هذا المقال، عبر استخلاص الدروس المستقاة من زلزال الحوز والتدابير المتخذة والواجب اتخاذها في هذا الإطار.

III. الظاهرة الزلزالية بالمغرب وخصائص زلزال الحوز

1. الظاهرة الزلزالية بالمغرب

إن الظاهرة الزلزالية بالمغرب ليست حدثا استثنائيا شاذا وإنما ظاهرة قديمة ترتبط بموقعه في حدود التقاء الصفائح، وحداثة تكوين جباله التي تنتمي جيولوجيا لمجموعة بنيوية كبرى حديثة تتجلى في السلاسل الالتوائية الحديثة التي تضم تصدعات غير مستقرة وهي: جبال الريف والأطلسين الكبير والمتوسط.[2]

[1] أمانة استراتيجية الأمم المتحدة للحد من الكوارث ومكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية،2008 ، التأهب للكوارث تحقيقا للاستجابة الفعالة، مجموعة الإرشادات والمؤشرات لتنفيذ الأولوية الخامسة في إطار عمل هيوغو، جونيف سويسرا، ص 45

[2] تاج الدين الشرقاوي، أحمد الحسني، 2008، النشاط الزلزالي بالمغرب وسبل التقليل منه، تقرير المعلومات لأكاديمية الحسن الثاني للعلوم والتقنيات العدد 4، ص 44.

ويصنف المغرب ضمن المناطق الزلزالية النشطة نسبيا كونه في منطقة التصادم بين الصفيحتين الإفريقية والأوراسية، وهذا التصادم الناتج عن التقارب بين الصفيحتين بسرعة تقدر ما بين 2.3 و3.6 ملم في السنة يخلف زلازل متواترة، لكنها تبقى متوسطة نظرا لأن كلا الصفيحتين قاربتين ذات سمك كبير؛ عكس ما يحدث عند التقاء صفيحتين مختلفتين من حيث السمك وهي الحالة التي تلتقي فيها صفيحة محيطية وأخرى قارية.

وعموما يمكن تقسيم المجال المغربي حسب النشاط الزلزالي إلى 3 مجالات:

- **مجال سلسلة جبال الأطلس:** يفسر النشاط الزلزالي في هذا المجال بتعدد الانكسارات والصدوع الجيولوجية النشطة وغير المستقرة؛
- **المجال الريفي:** يشمل المنطقة الممتدة من جنوب إسبانيا شمالا وجبال الريف جنوبا وهو مجال التقاء الصفيحتين الإفريقية والأوراسية؛
- **المجال الأطلنتي:** يمتد من أرخبيل الآزور غربا إلى صقلية شرقا مرورا بمضيق جبل طارق.[1]

والخريطة الآتية تبرز توزيع المناطق الزلزالية بالمغرب حسب نشاطها:

خريطة رقم 1: المناطق الزلزالية بالمغرب حسب نشاطها

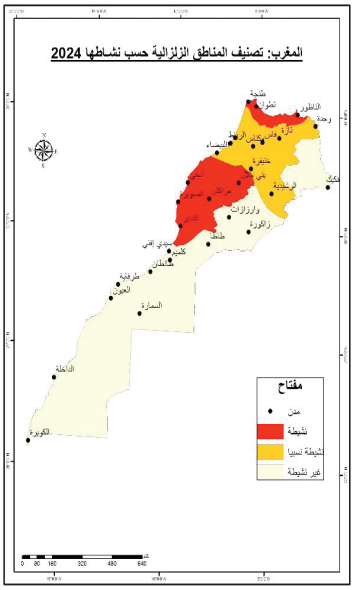

المصدر: بتصرف ATELIER SUR LA GESTION DES CRISES AU MAROC. Marrakech 02 et 03 novembre 2017

موقع المغرب في منطقة التقاء الصفائح جعله يسجل عبر تاريخه عددا كبيرا من الزلازل تتباين شدتها وعمقها وبالتالي الخسائر الناتجة عنها؛ والجدول أسفله يتتبع أهم الزلازل التي تعرض لها المغرب منذ القرن 9 ميلادي إلى اليوم ويعتبر زلزال الحوز يوم 8 شتنبر 2023 آخرها:

[1] تاج الدين الشرقاوي، أحمد الحسني، 2008، النشاط الزلزالي بالمغرب وسبل التقليل منه، تقرير المعلومات لأكاديمية الحسن الثاني للعلوم والتقنيات العدد 4، ص 42.

جول رقم 1: أهم الزلازل التي عرفها تاريخ المغرب منذ القرن 9 إلى بداية القرن 21

التاريخ	المناطق المتضررة	شدة الزلزال MSK
22 ماي 881م	الأندلس وشمال المغرب من طنجة إلى تلمسان	10
30ماي 1079	عدد من المدن المغربية	9
1276	شمل العرائش التي تهدمت عن آخرها	8
22 شتنبر 1522	زلزال كارثي خرب مدينة فاس والقرى المجاورة ومدينة تطوان إضافة إلى تسونامي في الشواطئ من أكادير إلى طنجة	9
26 يناير1531	كل البلاد	11
1 مارس 1579	شمل مليلية التي تحطم سورها	7
11 ماي 1624	ضرب فاس ومكناس وتازة	10
5 غشت 1660	ضرب مليلية	7
يوليوز 1719	ضرب السواحل المغربية إضافة إلى تدمير جزء من مراكش	
27 دجنبر 1722	السواحل	9
1731	أكادير	8
18 نونبر 1755	مكناس	9
15 أبريل 1757	سلا و رأس البدوزة	
12 أبريل1773	سلا وفاس وطنجة تهدمت عن آخرها	8
21غشت 1792	مليلية	8
11فبراير 1848	مليلية	8
21 يناير 1909	كل البلاد	8
4 يناير 1929	فاس وأولاد الحاج	6
29 فبراير 1960	أكادير	10
28 فبراير 1969	السواحل المغربية	11
24 فبراير 2004	الحسيمة	10
08 شتنبر 2023	الأطلس الكبير ومراكش	11

المصدر: La grande Encyclopedie du Maroc

عند الوقوف على توزيع هذه الزلازل يتبين أن معظمها يتمركز في المناطق الجبلية خصوصا بجبال الريف على حدود الصفيحة الإفريقية وبالأطلسين الكبير والمتوسط اللذين يضمان مجموعة من التصدعات غير المستقرة وقليل منها يتمركز في السواحل الأطلنتية؛ وهو ما توضحه الخريطة المرفقة:

خريطة رقم2: توزيع الزلازل بشمال المغرب حسب الشدة والعمق من 1920 إلى 2023

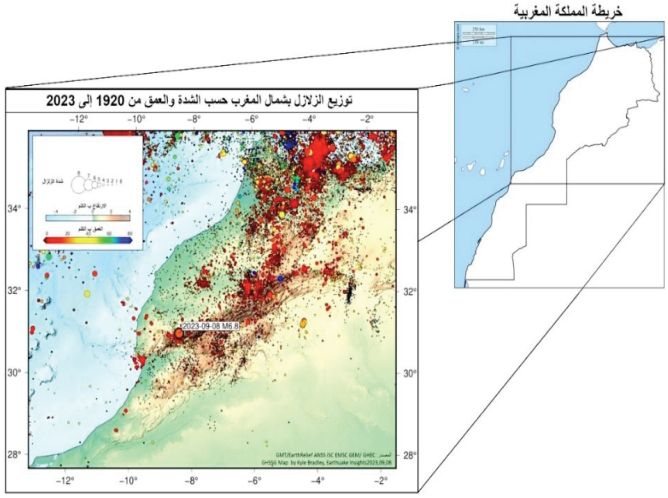

Source : https://mtcherkaoui.wixsite.com/site

2. زلزال الحوز الخصائص والآثار

شكل زلزال الحوز الذي ضرب المغرب يوم الجمعة 08 شتنبر 2023 كارثة طبيعية مدمرة بلغت 7 درجات على سلم ريختر، ما يجعلها أعنف هزة خلال القرنين الماضي والحالي، متجاوزة زلزال أكادير سنة 1960 الذي بلغت قوته 5.7 درجة على سلم ريختر، وزلزال الحسيمة سنة 2004 الذي قارب 6.5 درجة على نفس السلم. سجلت بؤرة الزلزال على بعد حوالي 71 كلم من مراكش، في جماعة إغيل، وهي جماعة قروية جبلية تقع في قلب الأطلس الكبير، كما تميز باتساع رقعته الجغرافية لتشمل عدة أقاليم وهي: الحوز -حيث يقع مركز الزلزال -وشيشاوة واليوسفية وعمالة مراكش بجهة مراكش آسفي، إلى جانب أقاليم تارودانت جنوبا، بجهة سوس ماسة، إضافة إلى ورزازات. باتجاه الشرق بجهة درعة تافيلالت، وأزيلال شمال شرق مركز الزلزال بجهة بني ملال خنيفرة ووصل تأثيرها لشمال المغرب.

خلف هذا الزلزال أزيد من 2946 قتيل وما يقارب 5600 جريح، إضافة إلى أضرار مادية ضخمة في عدة مناطق معظمها جبلية. فقد تجاوز عدد البنايات المهدمة 59674 32% منها هدم بشكل كلي و68 %هدمت جزئيا.

خريطة رقم 3: الجهات المغربية المتضررة من زلزال الحوز

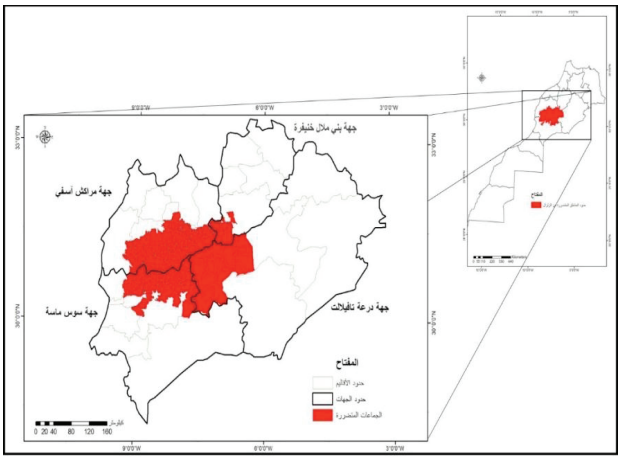

المصدر: الجريدة الرسمية عدد 740

خريطة رقم4: الجماعات والأقاليم المتضررة من زلزال الحوز

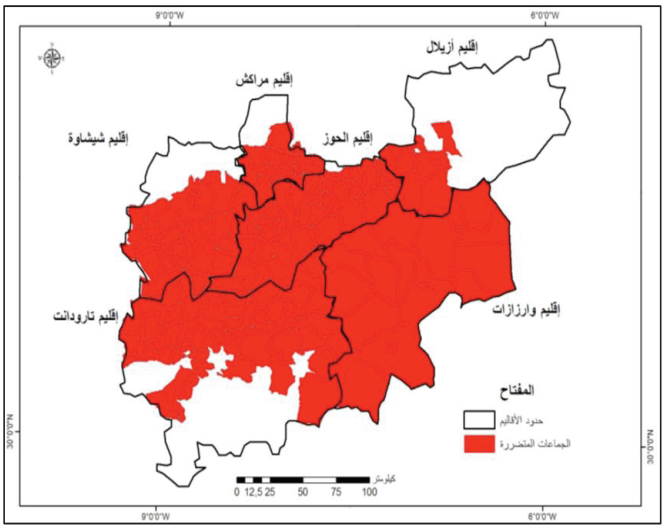

المصدر: الجريدة الرسمية عدد 7240 بتصرف

بلغ عدد الدواوير المتضررة من زلزال الحوز في الجهات الأربع أزيد من 2930 دوار موزعين على 169 جماعة بستة أقاليم أي ما يقارب 2.8 مليون نسمة وهو ما يمثل 66 في المائة من ساكنة الجماعات المتضررة.[1]

[1] محمد الرباني،2024، زلزال الحوز وسؤال الدولة الاجتماعية بالمغرب،كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية السويسي -الرباط- ص 2.

جول رقم 2: عدد الجماعات المتضررة من الزلزال حسب الأقاليم والجهات

الجهات	مراكش آسفي			سوس ماسة	درعة تافيلالت	بني ملال خنيفرة
الأقاليم	الحوز	شيشاوة	مراكش	تارودانت	ورزازات	أزيلال
عدد الجماعات	40	32	13	57	17	10

خريطة رقم 5: توزيع الدواوير المتضررة من زلزال الحوز 2023

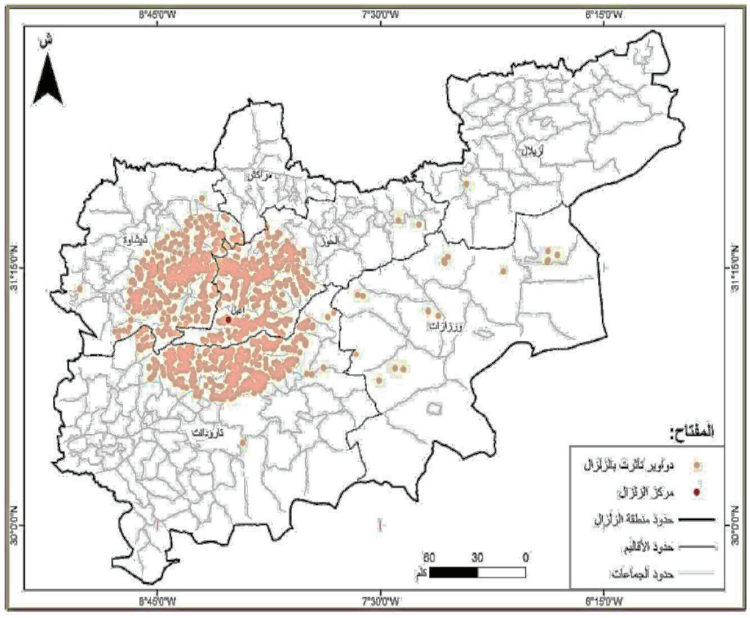

المصدر: أزكرار محمد،2023، زلزال الحوز بالمغرب بين تدبير الكارثة وإدارة الفرص الناجمة عنها، مجلة الدراسات الاستراتيجية للكوارث وإدارة الفرص، المجلد 5 العدد 20، المركز الديمقراطي العربي، برلين ص (22).

IV. استراتيجية هيوغو وتدبير زلزال الحوز

1. السكن القروي بعد الكارثة

تنزيلا لاستراتيجية هيوغو Hyogo للأمم المتحد في الجزء الثاني من مرحلتها الثالثة والمتمحورة حول إعادة التأهيل بعد الكارثة، كان لابد من الوقوف على الدروس المستقاة من زلزال الحوز والتي يمكن عبر استيعابها التقليص من تأثير كارثة من نفس النوع مستقبلا.

رسم توضيحي رقم 2: مرحلة إعادة التأهيل ضمن استراتيجية هيوغو

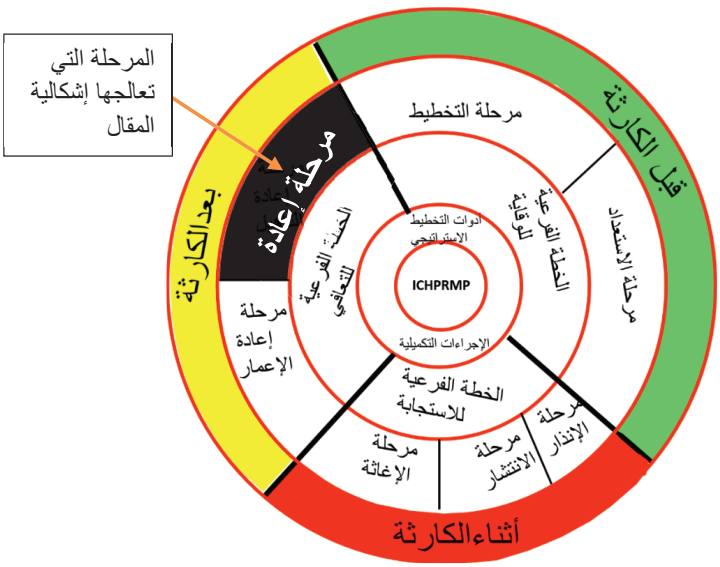

المصدر: أمانة استراتيجية الأمم المتحدة للحد من الكوارث ومكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية،2008 ، التأهب للكوارث تحقيقا للاستجابة الفعالة، مجموعة الإرشادات والمؤشرات لتنفيذ الأولوية الخامسة في إطار عمل هيوغو، جونيف سويسرا، ص 45.بتصرف

أول هذه الدروس إعادة النظر في نمط السكن الريفي الجبلي في شموليته؛ ذلك أن السكن الريفي من حيث نوعه ونمط انتشاره وأشكاله ومواد بنائه وعناصره مرآة للمجتمع الريفي، ولقيمه وأنشطته الاقتصادية، كما يشكل في كثير من الأحيان وحدة اجتماعية متجانسة، شهد دينامية متسارعة بدأت بالانتقال من التدبير القبلي التقليدي إلى التدبير المعاصر الممأسس. هذا التحول الجذري في نمط تدبير المجال القروي خصوصا الجبلي تم عبره التركيز على البنيات التحتية التجهيزية كالطرق والماء والكهرباء والاجتماعية المرتبطة بالتعليم والصحة مع إغفال للسكن القروي، ويظهر ذلك جليا من خلال تقادم قوانين التعمير الموجهة للعالم القروي والتي صدرت لأول مرة سنة 1960 عبر الظهير الشريف المتعلق بتوسيع نطاق العمارات القروية.[1]

هذه الوضعية أسفرت عن تباين واضح بين السكن في المجال الحضري الذي شهد قفزة نوعية، ونظيره في المجال القروي والذي ظل هشا غير مواكب للتطور الذي يعرفه قطاع التعمير بالمغرب؛ وهو ما يمكن اعتباره من أهم العوامل التي زادت من عدد ضحايا زلزال الحوز؛ ذلك أن السكن في الوسط القروي خصوصا في المناطق الجبلية بعيد كل البعد على أن يكون مقاوما لأبسط الهزات الأرضية، حيث أنه غالبا ما يستعان في بنائه ببنائين محليين دون تصميم أو إشراف من مهندس مختص.

لذلك كان لابد من أخذ العبرة والدروس عبر تطوير السكن القروي في المناطق الجبلية المهددة بالزلازل، وهو ما أكده الديوان الملكي عبر بلاغه الصادر بتاريخ 14 شتنبر 2023 والذي نص على إجراء عملية الإعمار على أساس دفتر التحملات، وبإشراف تقني وهندسي في انسجام مع تراث المنطقة والذي يحترم الخصائص المعمارية المتفردة. أي المزاوجة بين البناء الصلب بالإسمنت وبهندسة مقاومة للزلازل، والبناء بالمواد المحلية من طين وصخور تشكل خصوصية مميزة لهذه المجالات، وتراعي المشهد الجغرافي العام والمميزات المناخية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية لهذه الأوساط.

[1] البشير الحجاجي،2017، التعمير القروي بين النص القانوني والممارسة الميدانية، مجلة المنارة للدراسات القانونية والإدارية، العدد 36، ص 78.

بعد مرور سنة كاملة على زلزال الحوز ومن خلال التتبع الميداني لمجموعة من الجماعات بإقليم الحوز، رصدت عدة اختلالات في المقاربة التي من المفترض فيها المزاوجة بين السكن الصلب وبين السكن الذي يعكس المشهد الجغرافي والخصوصيات المحلية لهذه المناطق. إذ غيب مبدأ الحفاظ على التراث المعماري، وغيبت بعض المحددات الاقتصادية والاجتماعية عبر إصدار تصاميم بناء لا تتعدى مساحتها 70 مترا بعدما كانت ساكنة هذه المناطق تعيش في منازل واسعة، وتتعدد عناصرها منها إسطبل داخلي للماشية، وغرف لتخزين المنتوجات الفلاحية. وغرف أخرى ترتبط بتخزين الآليات والأدوات التقليدية الموظفة في الفلاحة. ويظهر هذا جليا من خلال دراسة حالة أحد ضحايا الزلزال والذي صرح بما يلي:

"مساحة منزلنا لا تقل عن 250 متر مربع ويتكون من 5 غرف ومطبخ وحمامين، بعد الزلزال تعرض لبعض الأضرار الطفيفة وبعد معاينته من قبل اللجنة المختصة صنفته ضمن المنازل التي يجب أن تخضع للإصلاح، أسطر هنا للإصلاح وليس الهدم. لنتوصل بعد ذلك بتصميم لإعادة بناء المنزل ما يقتضي هدمه بالكامل وما يتطلبه ذلك من مصاريف ووقت إضافة إلى أن مساحة التصميم المتوصل به لا تتعدى 69.94 متر مربع" كما هو موضح في الصورة:

صورة رقم 1: تصميم بناء توصل به أحد ضحايا الزلزال بإقليم الحوز أبريل 2024

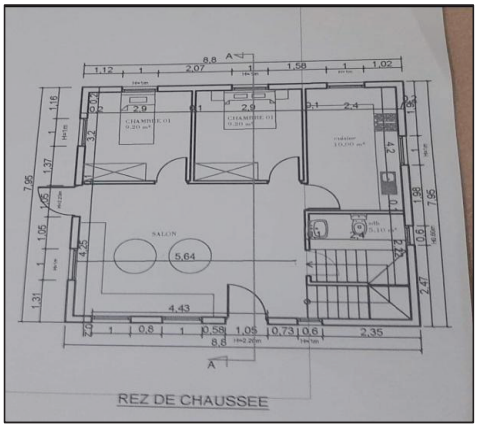

تؤكد هذه الحالة إلى جانب حالات أخرى متعددة عدم مراعاة التصاميم المسلمة للضحايا للمساحة التي تفرضها خصوصيات المجال القروي الجبلي.

كما بين العمل الميداني تشوها في المشهد الجغرافي العام عبر انتشار منازل إسمنية بالكمال، ما يفقد هذه المجالات تفرد تراثها المعماري، أو محاولة تغيير شكلها الخارجي عبر تلبيس الإسمنت بالطين ما ينتج سكنا هجينا غير مراع للخصوصية المناخية وللتراث المعماري العريق لهذه المجالات.

صورة رقم2: منزل إسمنتي دخيل على المشهد الجغرافي للمنطقة

المصدر: عدسة شخصية مارس 2024 بجماعة تيديلي مسفيوة إقليم الحوز

صورة رقم 3: تلبيس واجهة منزل إسمنتي بالطين

المصدر جريدة kech7 2024 جماعة أولاد مطاع إقليم الحوز

تنزيل دفتر التحملات الصادر في هذا الشأن يفرض ضرورة الدمج بين المعايير الحديثة في البناء والعمران والنمط التقليدي المعتمد على المواد المحلية، وذلك للتقليص من المخاطر من جهة، ومراعاة الخصوصيات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والمجالية من جهة أخرى. فساكنة هذه المناطق مرتبطة عضويا بالجبل وبأنشطته الفلاحية المعيشية وبالرعي؛ ما يفرض نوعا خاصا من البناء من حيث هندسته ومساحته، كما أن البنية الاجتماعية تقتضي تبني سكن متجمع عبارة عن تجمعات ومداشر ودواوير باعتبارها وحدة جغرافية وبشرية أساسية ومكون للعمران المغربي الأصيل، ومصدر إلهام روحي لتقوية ذات الجماعة ولبناء شخصيتها المتفردة.

2. زلزال الحوزوالبنية الطرقية

الدرس الثاني الذي يجب استخلاصه من زلزال الحوز ضرورة تقوية البنية التحتية خصوصا الطرقية، إذ ظهر جليا أهمية الطرق خلال هذه الكارثة، حيث وجدت فرق الإنقاذ والدعم والمساعدات صعوبة كبيرة للوصول للمناطق المتضررة، ما يقتضي اعتبار مد الشبكة الطرقية اللائقة وترميمها بشكل دوري أولوية لما لها من أهمية كبرى لخلق دينامية اقتصادية واجتماعية وتقريب الخدمات من المواطنين والرفع من وتيرة استقطاب الاستثمارات، حيث يصعب الاستثمار في مناطق معزولة؛ كما من شأنها تسهيل الرواج التجاري ذلك أن الشبكة الطرقية شريان المبادلات التجارية، وفي خلق دينامية اجتماعية عبر تسهيل الولوج للخدمات الاجتماعية من صحة وتمدرس وأغراض إدارية وترفيهية...

3. البنية العمرية لضحايا الزلزال والبوار الاجتماعي

عند تتبع عدد ضحايا زلزال الحوز الذي بلغ حسب حصيلة نهائية لوزارة الداخلية 2946 قتيل يتبين أن معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ؛ ويعتبر إقليم الحوز أكثر الأقاليم تضررا وهو ما يوضحه المبيان الآتي:

مبيان رقم 1: توزيع ضحايا زلزال الحوز حسب الأقاليم المتضررة 2023

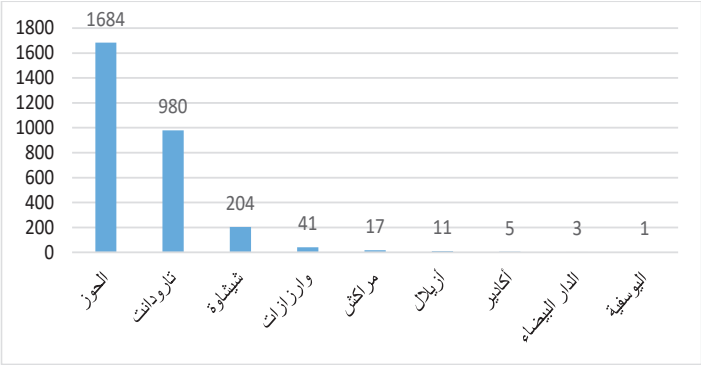

المصدر: وزارة الداخلية دجنبر 2024

إن ارتفاع عدد ضحايا زلزال الحوز في صفوف النساء والأطفال والشيوخ مؤشر مهم على البوار الاجتماعي الذي تعرفه المناطق القروية الجبلية الناتج عن الهجرة المكثفة للشباب، ويفسر ذلك بعدة متغيرات اجتماعية واقتصادية وثقافية وتجهيزية... وعموما فالهجرة القروية لا تقتصر فقط على الشباب بل تهم الساكنة القروية ككل، ما أثر على عدد سكان المجال القروي، بمن فيهم سكان المناطق الجبلية، التي شهدت تراجعا منذ سنة 1993 ، حيث انتقلت نسبتهم من 49 في المائة من مجموع الساكنة الوطنية سنة 1994 إلى 40 في المائة سنة 2014 ، أي نحو 13,5 مليون وبناء على الاتجاهات المستقبلية التي أعلنت عنها المندوبية السامية للتخطيط، فإن حركية الساكنة نحو المدن والمراكز الحضرية ستتواصل وسترتفع حدتها في المناطق الجبلية وفي الوسط القروي. وحسب تقديرات المندوبية، فإن نسبة ساكنة الوسط القروي ستبلغ 32,2 في المائة سنة 2030.[1]

وعلى العموم، فإن الهوة الحاصلة بين المناطق الريفية والحضرية على مستوى فرص الشغل وقيمة الأجور وعلى مستوى الخدمات الاجتماعية والبنيات التحتية الأساسية ووسائل الترفيه غالبا ما تكون حافزا يدفع الشباب لمغادرة المناطق القروية صوب الحضرية، وهو ما ينتج عنه عدة تبعات منها:

- تراجع الأنشطة الفلاحية الزراعية والحيوانية وتدهور الأراضي الزراعية والاتجاه نحو تصحرها؛
- إعادة توزيع أدوار العمل في البادية. فبعدما كان مرهونا بالشباب صارمن مسؤولية المسنين والنساء، أي الانتقال من ذكورية الزراعة إلى تأنيثها) منظمة التغذية والزراعة، 2008، صفحة 81)؛
- الانتقال من اقتصاد إنتاجي إلى اقتصاد استهلاكي يتوقف على تحويلات المهاجرين من المجالات الحضرية؛
- إنتاج خلل اجتماعي داخل القرى؛
- بداية تلاشي الخصوصيات الثقافية للمناطق القروية التي كان من المفترض نقلها للشباب لاستدامتها؛
- فقدان طاقات شابة من المفترض فيها الترافع عن قضايا هذه المجالات.

4. فجائية وقوة الكارثة والبحث العلمي

اعتبر زلزال الحوز كارثة مفاجئة وغير متوقعة شكلت الصدمة لدى مختلف الفاعلين بالنظر لقوتها، وهو ما لا يجب المرور عليه دون تحليله وفهم أبعاده؛ ذلك أنه مؤشر على ضعف مواكبة البحث العلمي والابتكار التكنولوجي للدينامية التي تعرفها المناطق الجبلية، وهي دينامية متسارعة متعددة الأبعاد سواء على المستوى الطبيعي جيولوجيا وجيومرفولوجيا ومناخيا وبيئيا...أو على

[1] المندوبية السامية للتخطيط، 2014، الإحصاء العام للسكان والسكنى

المستوى الاقتصادي من خلال الانتقال من الاعتماد على القطاع الفلاحي كنشاط اقتصادي محوري إلى دخول قطاعات غير فلاحية منافسة؛ أو على المستوى الاجتماعي والتحول البنيوي الذي تعرفه مكونات المجتمع في ظل عولمة جارفة. فبات من الضروري فهم هذه الدينامية من أجل استباق الآثار السلبية لهذه التغيرات والتقليص من تبعاتها، عبر البحث العلمي والابتكار في الميدانين التكنولوجي والاقتصادي، وعبر وضع برامج للبحث والتطوير تجعل من مؤسسات البحث العلمي فاعلا أساسيا وصلة وصل بين الفاعلين الترابيين والاقتصاديين والاجتماعيين...تنزيلا لمبدأ الالتقائية، وإيمانا بأهمية البحث العلمي في إنتاج الفعالية وفي أخذ نظرة شمولية على هذه المجالات، وفهم العلاقة النسقية التي تربط مختلف عناصرها. في ظل ما تزخر به المناطق الجبلية من مؤهلات هامة يمكن أن تشكل مادة للبحث العلمي، وأرضية لاعتماد تقنيات جديدة للإنتاج والتكيف مع مختلف المتغيرات؛ فلا تنمية بدون بحث علمي رصين.

5. نسبة الفقروزلزال الحوز

قد تظهر تعدد طلبات المساعدة التي أطلقتها ساكنة وجمعيات المناطق المتضررة من الزلزال رد فعل طبيعي على كارثة من هذا الحجم، لكن استمرارها زمنيا وطبيعتها يحيل على مستوى الفقر المستشري في هذه المناطق، وعلى الوضعية المتأزمة التي تمر منها ساكنة القرى الجبلية لاسيما في الأطلس الكبير الغربي الذي ضم بؤرة الزلزال وهو ما يؤكده المبيان الآتي:

المبيان رقم 2: تنزيع نسبة الفقر حسب الجبال المغربية 2014

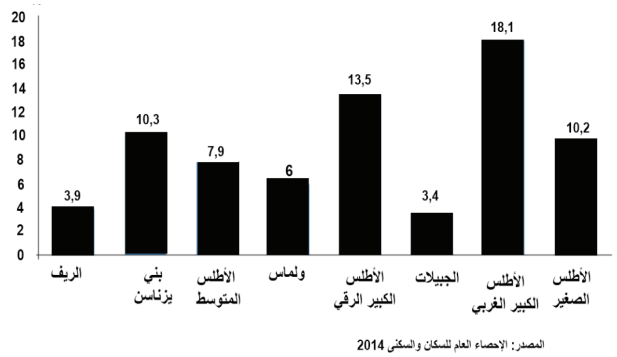

المصدر: الاحصاء العام للسكان والسكنى 2014

يتبين من خلال المبيان أن الأطلس الكبير الغربي المتضرر الأكبر من الزلزال يضم أكبر نسبة من الفقر، مقارنة بباقي الجبال المغربية والتي تجاوزت 18% حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014 وهي نسبة مرتفعة.

إذن فطلبات المساعدة المتكررة بعد الزلزال مؤشر على انتشار الفقر النقدي والفقر متعدد الأبعاد، وهو درس يجب الاستفادة منه، بعيدا عن المقاربة الإحسانية ضمانا لكرامة سكان الجبل عبر التفكير في استغلال الثروات المتنوعة التي تزخر بها هذه المجالات؛ والانتقال من الاقتصار على فلاحة معيشية تقليدية إلى اعتماد موارد ترابية غير تقليدية، سواء ارتبطت بدعم الصناعات التقليدية أو الغذائية أو تشجيع السياحية المنتجة وخلق تعاونيات وتشجيع الاقتصاد التضامني.

6. ضحايا الزلزال والفاعل السياسي

شكلت وسائل التواصل الاجتماعي آلية عكست الواقع ونبض الشارع بدون تجميل أو تنميق. ومن بين الشعارات التي انتشرت في هذه الوسائل خصوص بالفايسبوك بعد كارثة الزلزال " المغرب بشعبه وليس بحكومته " وهو انعكاس لضعف الثقة في الفاعل السياسي وعدم فعالية استراتيجيته التواصلية؛ ما يقتضي ضرورة الرفع من منسوب الثقة عبر التواصل الفعال والشفافية وربط المسؤولية بالمحاسبة لإنجاح المقاربة التشاركية الحقيقية التي من شأن تنزيلها تقليص الهوة بين المجتمع والفاعل السياسي بمختلف مستوياته الترابية.

7. تكنولوجيا الاتصال والتواصل زمن الكارثة

سجلت صعوبة كبيرة مباشرة بعد الزلزال في تواصل الأهالي للاطمئنان على ذويهم، في عصر الأقمار الاصطناعية والذكاء الاصطناعي، وهو ما يحيل على ضعف تعميم شبكة الاتصالات، وبعد هذه المناطق عن الإدماج في تكنولوجيا الاتصال المتطورة؛ التي من شأنها تقليص عزلة الساكنة والمساهمة في تنمية المناطق الجبلية. لذلك فمن الضروري توفير شروط انخراط المناطق الجبلية في مسلسل العولمة بشكله الإيجابي لاستقطاب فرص الاستثمار والانفتاح على تجارب يمكن توظيفها لخلق دينامية جديدة بهذه المناطق.

خاتمة

يعتبر علم الجغرافيا أكثر العلوم كفاءة لدراسة الكوارث الطبيعية من حيث تأثيرها على الإنسان وآفاق استثمارها لتحويلها إلى فرص تنموية، وذلك عبر الآليات التي توفرها ومنها وضع نماذج وسيناريوهات بتوظيف نظم المعلومات الجغرافية، كما تشكل استراتيجية هيوغو للأمم المتحدة بمراحلها المتعددة خريطة طريق لتدبير الكوارث الطبيعية بمختلف أشكالها وتعد المرحلة الثالثة والأخيرة المرحلة التي تمكن من أخذ الدروس وإعادة ترتيب الأولويات للتقليص من خطر كارثة طبيعية مستقبلا.

لقد خلف زلزال الحوز الذي ضرب المغرب في الثامن من شتنبر 2023 خسائر بشرية ومادية فادحة شكلت الصدمة لدى مختلف المتتبعين، لكنه بالمقابل مكن من تسليط الضوء على مجال جغرافي يعيش اختلالات ويظل بعيدا عن مسار التنمية الناجعة.

وعموما فتنمية هذه المناطق تقتضي تبني نظرة شمولية استباقية ومقاربة مستقبلية بعيدة المدى تبتعد عن ردود الفعل وتدخل ضمن استراتيجية واضحة ومتدرجة ذات أهداف واضحة ومرنة تراعي الخصوصيات المحلية وتستثمر الإمكانيات المتفردة التي تشكل نقطة قوة وعامل تميز هذه المجالات.

لائحة المصادر والمراجع:

- أمانة استراتيجية الأمم المتحدة للحد من الكوارث ومكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية،2008 ، التأهب للكوارث تحقيقا للاستجابة الفعالة، مجموعة الإرشادات والمؤشرات لتنفيذ الأولوية الخامسة في إطار عمل هيوغو، جونيف سويسرا، ص 45.
- البشير الحجاجي،2017، التعمير القروي بين النص القانوني والممارسة الميدانية، مجلة المنارة للدراسات القانونية والإدارية، العدد 36، ص 78.
- تاج الدين الشرقاوي، أحمد الحسني، 2008، النشاط الزلزالي بالمغرب وسبل التقليل منه، تقرير المعلومات لأكاديمية الحسن الثاني للعلوم والتقنيات العدد 4، ص 44.
- حسين عزيز صالح، 2020، خطة عملية متكاملة لإدارة خطر الكوارث على مواقع التراث الثقافي :حالة دراسية في الإقليم الساحلي السوري، المجلة العربية للبحث العلمي، العدد2، ص 6.

- عثمان أمين، 1958، الفلسفة الرواقية، مطبعة القاهرة للنشر، ص 276
- عطيات أبو السعود،2021، الأمل واليوتوبيا في فلسفة إرنست بلوخ، مؤسسة هنداوي، ص 74
- علي ايت احساين، 2015، جغرافية المخاطر البيئية، كلية الأداب و العلوم الإنسانية– أكادير، http://www.flsh-agadir.ac.ma/moodle-flsh، ص 1
- محمد الرياني،2024، زلزال الحوز وسؤال الدولة الاجتماعية بالمغرب،كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية السويسي -الرباط- ص 2.
- المندوبية السامية للتخطيط، 2014، الإحصاء العام للسكان والسكنى.